تاريخ اليسوعية في أوروبا

لم يرحل لويولا قبل أن يضمن لجنرال اليسوعيين «البابا الأسود» سلطة مطلقة على أتباعه. فصرامة التنظيم تذكرنا بتنظيم الحشاشين الباطنيين و«شيخ الجبل». لكن الأعجب من ذلك أن هذا النفوذ تجاوز التنظيم إلى البابا المعلن[1]. فهذا الذي يظهر بهيلمانه وحاشيته لا يملك من أمره إلا ما يمليه عليه سيده البابا الأسود[2] وإن أظهرت الشاشات خلاف ذلك. تقول «م. ف. كيوساك»:

> من المعترف به في الأوساط الكاثوليكية الرومية أن «البابا الأسود» هو اللقب المستعمل لجنرال اليسوعيين. وبما أن البابا دائماً يرتدي الأبيض والجنرال يرتدي الأسود فإن التباين جلي. لكن أولئك الروميين الذين لا يحبون اليسوعيين كثيراً - وهم ليسوا قلة - يستعملون اللقب ليشيروا إلى أن **البابا الأسود يحكم البابا الأبيض** . . . وإن اضطُر الأول إلى أن **يتظاهر على**

(١) وهو في الوقت الحاضر «جوزيف راتسينجر» المعروف بـ«بندكت السادس عشر» Benedict XVI.

(٢) وهو في الوقت الحاضر «أدولفو نيكولاس» Adolfo Nicolas.

الأقل بالإذعان للأخير[1].

لقد أسهم اليسوعيون في بسط نفوذ الكنيسة الكاثوليكية على ممالك أوروبا حتى صارت بيدها مفاتيح الحل والعقد في الشؤون الدنيوية فضلاً عن الدينية. وهنا أنقل بعض ما قاله زعماء هذه الجمعية نقلاً عن كتاب «ومضة من الجمعية السرية العظيمة»:

يقول [اليسوعي] «سالميرون»: "بتلقي العماد والتخلي عن الشيطان وعمله يكون الملك قد تعهد ضمناً بألا يسيء استعمال سلطته الملكية بالعمل ضد الكنيسة. فإذا صنع هذا فُهم منه قبوله بحرمانه من مملكته . . . إن لأسقف روما [البابا]، خليفةِ القديس بطرس - إذا رأى مصلحة رعيته ولم يجد بُداً من ذلك - أن يزهق بكلمةٍ حياةَ بشرٍ؛ بشرط أن تكون شفاهاً دون عمل يدوي ظاهر . . . لقد مَنح الإلهُ في الأمور الدنيوية القديسَ بطرس وخلفاءَه سلطةً غير مباشرة على الممالك الزمنية [الدنيوية] وعلى كل إمبراطوريات العالم . . . "

ويقول [اليسوعي] «بيلارمين»: " . . . للبابا إذن أن يبدل الإمبراطوريات فينزع التاج من هذا ويعطيه ذاك . . . "

[ويقول أحد الباباوات]: "إذا دعت الطاعة الزمنية التي تبذلونها لملك ما إلى المخاطرة بالخلاص الأبدي فإنني مطلقاً أعظم نفوذاً

(1) *The Black Pope*, pp. 201.

من مَلِككم حتى في الأمور الدنيوية. فأنتم خِرافي، وملوكُكم قادةٌ لكم؛ فإذا بقي ملوككم خرافاً أذنت لهم أن يحكموكم ويقودوكم. ولكن إن تحولوا إلى ذئاب بدل الخراف فهل أترك قطيع سيدي [المسيح] ترعاه الذئاب؟ . . . "

ويقول [اليسوعي] «مولينا» " . . . لهذه الأسباب يعتبر البابا حاملاً سيفين اثنين: أحدهما روحي [أو ديني] والآخر زمني [أو دنيوي] . . . "

ويقول [اليسوعي] «سْوَاريز»: "من الأنسب ألا يَشن البابا حرباً بنفسه بل يستعمل قوة خارجية عن طريق القادة من العامة . . . إن لدى البابا سلطة قسرية وإكراهية على الملوك إلى درجة حرمانهم من عروشهم".

وإذا عُزل ملكٌ بطريقة شرعية [أي بأمر البابا] . . . ساغ أن يعامَل معاملةَ طاغيةٍ حقيقي؛ وعليه فلأي شخصٍ الحق في قتله . . . ".[1]

ولعل قارئاً يعجب من جرأة هذه الأقوال فيظنها من قبيل المبالغات التي يرددها بعض القائلين بـ«نظرية المؤامرة». لكن الحقيقة هي أن ما قيل ليس مبالغة أو تهويلاً، بل لعله قاصر عن بيان مدى نفوذ وسلطة هذه الجماعة التي لا يعلم حقيقتها كثير من الباحثين فضلاً عن العامة. وهذا يحتم تقديم عرضٍ تاريخي

(1) *A Glimpse of the Great Secret Society* (London: William Macintosh, 1872), pp. 38-42.

سياسي يبين مدى اتساع ونفوذ سلطة «جمعية يسوع»، وكيف مارست تعاليم مؤسسها بحذافيرها، وتمكنت من السيطرة على السياسة والاقتصاد العالميين!

البروتستانتية و«مجمع ترنت»:

بعد خمسة أعوام من اعتراف البابا بجمعية يسوع عُقد مجمع «ترنت» The Council of Trent عام ١٥٤٥م وامتد إلى ١٥٦٣م بإشراف «دييجو لاينيز» الذي أصبح فيما بعد الجنرال الثاني لليسوعيين بعد هلاك «لويولا». وكان الداعي إلى هذا المجمع هو انتشار الحركة الإصلاحية البروتستانتية على يد «مارتن لوثر» والتي أنذرت بفقدان الكنيسة لنفوذها.

مذبحة القديس بارثولوميو:

استطاع اليسوعيون من خلال توصيات «مجمع ترنت» أن يجدوا لأنفسهم مسوغاً للتخلص من أتباع البروتستانتية في أوروبا باسم الدفاع عن عقيدة الكنيسة الأم وتطهيرها مما طرأ عليها من بدع وهرطقات. وبهذا أصبحت دماء المخالفين للكنيسة الكاثوليكية دون حرمة مما أشعل حروب القتل والتشريد.

هكذا بدأت في فرنسا «حروب الدين الفرنسية» بين الكاثوليك والبروتستانت بعد أن أصبح «الهيجونوت» البروتستانت يشكلون قوة سياسية بقيادة الأميرال «جاسبار دي كولينيي». وكان اليسوعيون يدركون تماماً أن نجاح الحركة البروتستانتية يعني القضاء على مخططاتهم التوسعية. عندها استعان اليسوعيون بالوصيةِ على عرش فرنسا إذ ذاك «كاترين دي مديتشي» للقضاء

على هذه الطائفة "الملعونة" في مجمع ترنت. وتم هذا فعلاً عندما استطاعوا في «مذبحة القديس بارثولوميو» St. Bartholomew's Massacre عام ١٥٧٢م وبتدبير من الجنرال اليسوعي الثالث «فرانسيس بورجا» رفيقِ «لويولا» أن يتمكنوا من رقاب «الهيجونوت» ويقتلوا منهم خمسة وسبعين ألفاً على رأسهم قائدهم «جاسبار» الذي حُزَّ رأسه وأرسل تذكاراً إلى «كاردينال»[١] إقليم «لورين»[٢]. يقول الكاثوليكي «ر. و. طومسون» R. W. Thompson في كتابه «آثار أقدام اليسوعيين»:

"ما من قارئ فطن للتاريخ الفرنسي إلا ويعلم عن الخطوات التي اتخذتها وصية العرش الخائنة هذه [كاترين دي مديتشي] بعد إدخال اليسوعيين إلى باريس لتنفيذ مذبحة «القديس بارثولوميو» - حادثة لا تنفك عن أُخرياتٍ كانوا هم المنفّذَ لها دون مِرية، حتى إن على المرء أن يقفل عينيه إن أراد ألا يرى الأدلة التي تشير إلى عمالتهم في تلك العملية المشينة. لقد كانوا بحاجة إلى مثل ذلك العمل الدامي ليسودوا فرنسا"[٣].

ويعلق «إدوين شيرمان» قائلاً: "إن سَفّاحي [مذبحة] القديس بارثولوميو - أصحابَ محاكم التفتيش واليسوعيين - هم وحوش أنتجهم خيالٌ خبيث. إنهم الحلفاء الطبيعيون لأشباح الظلمة والموت"[٤].

---

(١) الكاردينال: يمثل منصباً كنسياً دون البابا المعلن مباشرة، ويسهم في انتخاب البابا عن طريق «كلية الكرادلة».

(2) *Vatican Assassins*, p. 175.

(3) Thompson, R. W. *The Footprints of the Jesuits* (New York: Hunt & Eaton, 1894), p. 113.

(4) *The Engineer Corp of Hell*, p. 92.

اغتيال ملكَي فرنسا «هنري الثالث» ثم «هنري الرابع»:

لكن الأمر لم يقف عند «مذبحة القديس بارثولوميو» التي حصدت أرواح الكثير من البروتستانت في فرنسا بل تجاوزها إلى الزعامات. ففي عام ١٥٨٩م طُعن الملك الفرنسي «هنري الثالث» لأنه "لم يتورع عن مقاومة النفوذ المتزايد للنبالة الكاثوليكية بتحالفه مع حزب «الهيجونوت» [بروتستانت فرنسا]"[١]. طعنه الراهب الدومينيكي الكاثوليكي «جاك كلِمنت» Jacques Clement الذي كان شريك اليسوعيين في «الرابطة الكاثوليكية» وكان يرى ضرورة التخلص من البروتستانت في فرنسا.[٢] وكان ممن مَجَّد هذا العمل اليسوعي «ف. جينيارد» الذي أعدم شنقاً.

انتقل عرش فرنسا بعد اغتيال الملك «هنري الثالث» من أسرة «فالوا» Valois إلى أسرة «بوربون» Bourbon والملكِ البروتستانتي «هنري الرابع». لكن اليسوعيين لم يعترفوا به ملكاً حتى تخلى عن البروتستانتية واعتنق الكاثوليكية بعد أن كان اليسوعيون يخططون لمنح عرش فرنسا للإسبانية الكاثوليكية «كلارا إيزابيلا» طمعاً في توسيع سلطان الكنيسة وأتباعها الكاثوليك عن طريق الزعماء والملوك المتواطئين في أوروبا.

---

(1) Fulop-Miller, Rene. *The Power and Secret of the Jesuits* (New York: The Viking Press, 1930), p. 316.

(2) Wikipedia "Jacques Clement" <http://en.wikipedia.org/wiki/Jacques_Clement>.

وبرغم اعتناق «هنري الرابع» للكاثوليكية إلا أن هواه لم يكن تبعاً لما جاء به اليسوعيون. تجلى ذلك عندما أصدر «مرسوم نانت» Edict of Nantes الذي ضمن للهيجونوت حرية العبادة والمساواة في الحقوق خلافاً لما نصت عليه عقيدة مجمع ترنت. كان هذا التجاوز من قبل «هنري الرابع» كافياً لأن يسل البابا الأسود شفرته؛ ففي عام ١٦١٠م وبينما الملك عائد من إحدى زياراته في عربته الملكية إذ أُوقفت في منتصف الطريق. هنا أقبل إليه اليسوعي[1] «فرانسوا رافَيّاك» Francois Ravaillac وقفز مستنداً على إحدى عجلات العربة وغرز خنجره في صدر الملك. يقول اليسوعي «كارلوس سكريبانوس» معلقاً:

> روما! أنظري إلى قائد العربة هذا الذي يحكم فرنسا، آكلِ لحوم البشر، هذا الوحشِ الذي يتشحط في دماءه . . . أوليس بيننا من يستطيع إشهار السلاح في وجه هذا الحيوان المفترس؟ . . . أوليس لدينا «بابا» يوظف فأساً لخلاص فرنسا؟ هدئ من روعك أيها اليسوعي الشاب، فلئن خذَلَنا فأسُ البابا فإن لنا خِنجرَ «رافيَّاك»[2].

ولكن بالرغم من اغتيال الملك بقي اليسوعيون في صراع مرير مع «مرسوم نانت» الذي أجبرهم على كف أيديهم عن الهيجونوت حتى تمكنوا من إلغائه عام ١٦٨٥م.

---

(1) Chiniquy, Charles. *Fifty Years in the Church of Rome* (Toronto: S. R. Briggs, 1886), p. 720.

(2) *The Engineer Corp of Hell*, p. 86.

غزو هولندا واغتيال «ويليام الصامت»:

أما في هولندا فكان تأثير الكالفنية البروتستانتية في تزايد. مما حدا باليسوعيين إلى تحريض «فيليب الثاني» ملك إسبانيا الكاثوليكي على إصدار «مرسوم ١٥٥٠» الذي جاء فيه:

> ليس لأحد أن يطبع أو يكتب أو ينسخ أو يمتلك أو يخفي أو يبيع أو يشتري أو يوزع في الكنائس أو الشوارع أو غيرها أي كتاب أو مقالة لـ«مارتن لوثر» . . . أو «جون كالفن» أو هراطقة آخرين قد أدانتهم الكنيسة المقدسة . . . كذلك نحظر كل العامة [غير رجال الدين] من الحوار أو المجادلة حول الأسفار المقدسة، سراً كان أو جهاراً - خصوصاً حول شبهة أو مسألة عويصة - أو قراءة أو تعليم أو شرح الأسفار إلا أن يكونوا قد درسوا اللاهوت وأقرتهم جامعة شهيرة ما . . . [أما عقوبتهم] فالرجال بحد السيف والنساء بالوأد أحياء، هذا إذا انتهوا عن ضلالاتهم؛ أما إذا لم ينتهوا فليُحرقوا بالنار، وتصادر ممتلكاتهم في الحالتين لصالح العرش[1].

(1) Lindberg, Carter. *The European Reformations Sourcebook* (Blackwell Publishing Ltd, 2000), pp. 206-207.

ولإنفاذ ما توعد به أرسل «فيليب الثاني» عشرة آلاف جندي إسباني يقودهم «دوق ألبا». وبإشراف اليسوعيين أقيمت محاكمة «مَجْمع الدم» The Council of Blood كما تسمى. وعلى أساس هذا المجمع وفي "أقل من عِقد أُبيد بأمره [أي فيليب الثاني] في حجرات التعذيب وتحت المقاصل وعلى المحرقات مائتان وخمسون ألفاً من الرجال والنساء الهولنديين"[١].

أما قائد الهولنديين حينئذ «ويليام الأول الأورانجي» William I of Orange المعروف بـ«الصامت» والذي يعدّه الهولنديون «أبا الجمهورية الهولندية» فاغتيل عام ١٥٨٤م على يد اليسوعي[٢] الشاب «بَلثازر جيرارد» Balthazar Gerard بعد أن أصابه بثلاث طلقات طمعاً في سعادة الدنيا أو الشهادة كما أوهمه أحد اليسوعيين من مدينة «تريير» Trier الألمانية[٣]. ولعله كان وفاء بالنذر الرابع: "سأصنع وأشن حرباً لا هوادة فيها، سراً وعلانيةً، ضد كل الهراطقة البروتستانت والليبراليين . . . فإذا ما استعصى الأمر علانية لجأت سراً إلى . . . طلقة الرصاص، دون اعتبار لشرفٍ أو مكانةٍ أو جلالةٍ أو سلطةِ ذلك الشخص"[٤].

---

(1) Paassen, Pierre van. *Days of our Years* (Garden City Pub., 1942), 389.

(2) Osburn, W. *Hidden Works of Darkness: Or The Doings of the Jesuits* (London: W. H. Dalton, 1846), p. 137.

(3) Ranke, Leopold. *The History of the Popes* (Adamant Media Corporation, 2001), vol. I, pp. 471-472.

(٤) سبق إيراد النص كاملاً ص ١١٠.

اليسوعيون ومحاولة غزو إنجلترا:

توسعت أطماع اليسوعيين لتصل إلى الحركة البروتستانتية في إنجلترا إبان حكم «إليزابيث الأولى» التي كان اليسوعيون يدعونها «ابنة الزنا»[1]. وكانوا في هذه الأثناء مسيطرين على إسبانيا بالتعاون مع الملك الكاثوليكي العميل «فيليب الثاني» الذي كان قد أشرف على إبادة البروتستانت في هولندا.

تآمر اليسوعيون مع الملك الإسباني لاجتثاث البروتستانت من إنجلترا مع ملِكتهم التي لم ترضخ لنفوذ البابا. فأصدر البابا «بيوس الخامس» عام ١٥٧٠م منشوره *Regnans in Excelsis* «حكمٌ من العَليّ» الذي قضى بأن "إليزابيث، ملكة إنجلترا الدعِيّة وخادمة الجريمة" مُهرطِقة، وأن لرعيتها الحق في نزع يد الطاعة. كما قضى المنشور بالحرمان الكنسي لكل من أطاع أوامرها.[2]

كان هدف الكنيسة أن تستبدل بالملكة البروتستانتية «إليزابيث» الكاثوليكيةَ «ميري ملكة اسكتلندا». وكان مما زاد من حنَق اليسوعيين جلاؤهم عام ١٥٧٩م من قبل الملكة «إليزابيث» التي كانت تخشى مؤامرة كاثوليكية للقضاء عليها وعلى رعاياها البروتستانت بعد أن حاول اليسوعيون اغتيالها عام ١٥٧١م. تكررت محاولات الاغتيال عامي ١٥٨٣م و ١٥٨٦م لكنها باءت بالفشل. حوكمت «ميري ملكة اسكتلندا» على تآمرها مع اليسوعيين وضُربت عنقها

---

(١) لأن أمها كانت البروتستانتية «آن بولين» الزوجة الثانية للملك «هنري الثامن» الذي أعلن الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية. اتهمت «آن» بالخيانة فضربت عنقها مع أن المؤرخين يشككون في أن الدوافع كانت سياسية خلاف ما أعلن أمام الملأ.

(2) *Wikipedia*. "Regnans in Excelsis" <http://en.wikipedia.org/wiki/Regnans_in_Excelsis>

عام ١٥٨٧م بأمر من البرلمان الإنجليزي.

هنا أمر «فيليب الثاني» بتعبئة الآلاف من الجنود الإسبانيين يحملهم أسطول «أرمادا» الشهير الذي مولته الكنيسة، وكان ذلك عام ١٥٨٨م. لكن ريحاً عاتية عصفت بهم فأهلكت منهم عشرين ألفاً وأغرقت السفن ليُلقيَ اليمُّ حطام بعضها على سواحل إيرلندا واسكتلندا. يقول اليسوعي «بدرو دي ريبادنيرا» Pedro de Ribadeneira – الذي تتلمذ على «لويولا» وكان أحد المتحمسين للقضاء على الملكة «إليزابيث» – معلقاً على الحادثة:

> إن قضاء الإله سرٌّ من الأسرار، حتى إننا لا نعلم يقيناً مراد جلاله الإلهي من المصير الخارق الذي قدَّره على أسطول الملك الحاشد. لكن عدم مُبالاته بصلوات ودموع الجموع الكبيرة من عِباده – رغم أن العمل كان في سبيله، وكانت الغاية مقدسة، ورغبته وساندته الكنيسة الكاثوليكية بأسرها – يجعلنا نخشى أن تكون هناك أسباب خطيرة جعلت ربنا يسلط علينا هذا البلاء[1].

يقول «جوناس شِبَرد» في كتابه «**مكيدة بابنجتون**»: "من المحال أن يُقرأ التاريخ الإليزابيثي إلا في سياق جيش من اليسوعيين، سادةِ الخداع والخيانة والتسلل والتدمير والذبح والثورة والحرب الأهلية والإكراه، الذين يكيدون لصالح البابوية وهزيمةِ كل أعداء البابا في أي بقعة من العالم"[2].

(1) Martin, Colin & Geoffrey Parker. *The Spanish Armada* (Manchester University Press, 1999), p. 252.

(2) Shepherd, J. *The Babington Plot* (Toronto: Wittenburg Publications, 1987), p. 20; as quoted in *Vatican Assassins*, p. 192.

مكيدة البارود:

في عام ١٦٠٣م ماتت الملكة «إليزابيث» بعد أن أجْلَت اليسوعيين من بلادها. ثم خلفها «جيمس الأول»[١] ابن «ميري ملكة اسكتلندا» الذي خالف نهج أمه وسار على نهج «إليزابيث» فطرد اليسوعيين وأمر جلاده أن يحرق عقائد اليسوعي «فرانسيسكو سواريز» حول «الدفاع عن الإيمان الكاثوليكي». فكانت إنجلترا بحق غصة في حلوق اليسوعيين. هنا دبر اليسوعيون ما يعرف بـ«مكيدة البارود» The Gunpowder Plot برعاية من الملك «فيليب الثالث» الذي كان كأبيه عميلاً لأتباع لويولا.

قرر اليسوعيون "أن يبيدوا الملك وكل عائلته بالإضافة إلى كل زعماء البروتستانتية في إنجلترا بضربة واحدة"[٢] عن طريق تفجير البرلمان أثناء اجتماعه بستة وثلاثين برميلاً من البارود. ولكن شاء الله أن يدخل «العمدة» قَبْو البرلمان ليجد «جاي فوكس» Guy Fawkes يتأهب للقيام بالعملية فتم القبض عليه. وبعد محاكمته تبين أنه كان يعمل بتوجيه من اليسوعي «الإقليمي» في إنجلترا «هنري جارنت» Henry Garnet فأُعدم الاثنان[٣]. وكان من آخر كلام «هنري» قبل هلاكه: "أيها الإله، دمر هذه الأمة الخائنة [إنجلترا]، واجتثها من بين الأحياء حتى نقدم ليسوع المسيح [الذي يمثله البابا] ما يستحقه من المحامد"[٤].

---

(١) **الملك جيمس الأول**: هو الذي تنسب إليه ترجمة «نسخة الملك جيمس» King James Version لما يعرف بـ«الكتاب المقدس» عام ١٦١١م.

(2) Griesinger, Theodor. *The Jesuits*, p. 528.

(3) *Vatican Assassins*, p. 206.

(4) Pitrat, John C. *Americans Warned of Jesuitism* (Boston: Edward W. Hincks & Co., 1855), p. 111.

حرب الثلاثين عاماً الأولى:

كان سبب قيام هذه الحرب عام ١٦١٨م هو انتشار الحركة البروتستانتية في أوروبا، خصوصاً ألمانيا. ففي مستهل القرن السابع عشر كانت ألمانيا بروتستانتية تقريباً بعد أن انتشرت فيها تعاليم «لوثر» و«كالفن». فاستعد التنظيم اليسوعي بتحالف بين «بافاريا» و«النمسا» لمذبحة جديدة تجتث الدين البروتستانتي. ومما زادهم غيظاً أن طردتهم «مملكة بوهيميا»[١] معلنة في بيان خاص:

> نحن اللوردات والفرسان ونواب «براغ»، و«كوتنبرغ» والأراضي الأخرى نعترف إجماعاً بالخطر العظيم الذي أحدق بمملكة بوهيميا منذ السماح لطائفة اليسوعيين المنافقة. كما أننا وجدنا حقاً أن أصل كل هذا الفساد هم اليسوعيون سالفو الذكر الذين شغلوا أنفسهم بالتخطيط للطريق الذي يعززون به الكرسي الرسولي [مقر البابوية] ويُخضعون الممالك والأراضي لسلطانهم وجبروتهم. . .[٢].

شارك في هذه الثورة «سيليسيا»[٣] و«موراڤيا»[٤] و«المجر». لكن

---

(١) كانت «مملكة بوهيميا» دولة في أوروبا الوسطى وعضوا مستقلاً في «الإمبراطورية الرومية المقدسة» ثم أصبحت جزءاً من الإمبراطورية النمساوية، وهي اليوم تشكل جزءاً من الجمهورية التشيكية.

(2) *The Power and Secret of the Jesuits*, p. 355.

(٣) تشكل «سيليسيا» الجزء الأكبر مما يعرف اليوم بـ«بولندا».

(٤) تشكل «موراڤيا» قسماً مما يعرف اليوم بـ«الجمهورية التشيكية».

اليسوعيين أصبحوا سادة ألمانيا عن طريق عميلهم الإمبراطور «فرديناند الثاني» الرومي الكاثوليكي بالتحالف مع دوق بافاريا الكاثوليكي «ماكسيميليان». بل كان قسيس الاعتراف المسؤول عن الإمبراطور هو اليسوعي «مارتن بيكان» ثم اليسوعي «ويليام لامورماييني» وكان يصدر عن رأيهما.

كان حصاد هذه الحرب ومحاكم التفتيش عشرة ملايين من البروتستانت. يحدثنا المؤرخ «ريدباث» قائلاً:

> تشير التقديرات إلى أن هذا الملك الحميد[1] دخل عالم الأرواح حاملاً في عنقه دم عشرة ملايين من البشر... في تاريخ العرق الألماني كله لم يسهم في نكبات الشعب بهذا القدر ملكٌ آخر على الإطلاق[2].

كان من أشهر من أسهم في هذه الحرب ملك السويد اللوثري «جوستافوس أدولفوس» المعروف بـ«أسد الشمال». أشار هذا الملك إلى دور اليسوعيين بقوله: "ثمة لاماتٌ ثلاثٌ أود أن أراها معلقة على حبل المشنقة: اليسوعي «لامورماييني» واليسوعي «ليمان» واليسوعي «لورنتيوس فورير"[3].

بالرغم من المجزرة التي حدثت على أيدي هؤلاء اليسوعيين إلا أن النتائج كانت مخيبة لآمالهم. لقد انتهت الحرب بـ«صُلح وستفاليا» Peace of Westphalia عام ١٦٤٨م الذي ضمن الحرية الدينية مما وسع انتشار

---

(١) على سبيل التهكم.

(2) Ridpath, John C. *Ridpath's Universal History* (New York: Merrill & Baker, 1901), vol. XIII, p. 339, as quoted in *Vatican Assassins*, p. 224.

(3) Mitchell, David. *The Jesuits* (F. Watts, 1981), p. 120.

حركة الإصلاح البروتستانتي. في الوقت ذاته تحررت «جمهورية هولندا» من ربقة إسبانيا الكاثوليكية[1].

لكن الكاتب الكاثوليكي «ر. و. طومسون» يذكّرنا بحقيقة ينبغي ألا تغيب عن ذهن الحصيف. يقول في كتابه «آثار أقدام اليسوعيين»:

> هل أمر شرع الإله بهذه المؤامرة؟ إن كان كذلك فأين تبدل ذلك الشرع؟ وإن لم يكن قد تبدل - وشرائع الإله لا تتبدل - ألا يمكن أن يدخل يسوعيو اليوم مؤامرة جديدة لتقويض المؤسسات القائمة في ألمانيا أو بريطانيا العظمى أو الولايات المتحدة أو أي أمة أخرى تتبنى مبادئ البروتستانتية وحرية الضمير[2]؟

بمعنى أن اليسوعيين البابويين إن كانوا يَصدرون عن إيمان ويقاتلون عن عقيدة يرون أنها لن تتبدل، فلن يقر لهم قرار حتى يغزوا كل من يشكّل عائقاً أمام إنجاز مشروعهم في السيطرة على العالم بأسره والقضاء على كل عقيدة منافسة مهما كانت.

اليسوعيون في اليابان:

بدأت محاولات اليسوعيين للتسلل إلى اليابان عام ١٥٤٩م على يد «فرانسيس خافير» أحد مؤسسي الجمعية. نجح اليسوعيون خلال هذه المرحلة في إقناع كثيرٍ من اللوردات اليابانيين المعروفين بـ«دايميو» daimyo باعتناق

(1) *Wikipedia* "Peace of Westphalia" <http://en.wikipedia.org/wiki/Peace_of_Westphalia>.

(2) *The Footprints of the Jesuits*, p. 129.

الكاثوليكية الرومية. وكان أكثر هؤلاء اللوردات ولاءً لليسوعيين قبيلة «تشوشو» Choshu. بدأت هذه القبيلة بإيعاز من اليسوعيين باضطهاد البوذيين وتدمير الآلاف من معابدهم وقتل كهنتهم[١].

في هذه الفترة قدِم إلى اليابان البحَّارُ البروتستانتي الشهير «ويليام آدمز» الذي كشف مشروع اليسوعيين ومكائدهم للشوجون[٢] «إيِّياسو» Iyeyasu بعد أن أنقذه الأخير من أيدي اليسوعيين الذين حاولوا صلبه. حينئذ عزم الشوجون على التصدي لسياسة البابا التوسعية. لقد أدرك «إيياسو» كما ورد في مرسومه عام ١٦١٤م "أن الغزو يأتي في أعقاب القسيس ومحكمةُ التفتيش في أعقاب الفتح. لقد كان مخطط اليسوعيين أن يستولوا على أحد الموانئ، بعدها يطلبون المساعدة من جيش أجنبي، ثم يفرضون تغيير الحكومة، ثم يقيمون الكاثوليكية ديناً لليابان"[٣].

استمر موقف اليابان من اليسوعيين إلى أن تمكنت من إجلائهم ومن تبعهم من الإسبانيين والبرتغاليين. كان أول إجلاء لهم عام ١٥٨٧م، ثم في عام ١٥٩٧م من قبل الدايميو «هيديوشي». وفي عام ١٦١٤م أصدر «إيياسو» مرسوماً باسم ابنه «هيديتادا» انتهى بإبعاد اليسوعيين وتحريم النصرانية بأشكالها.

لكن اليسوعيين لا يستسلمون دون سفك دم. لذا كوَّنوا عام ١٦٣٧م

---

(1) Macdonald, E. M. *A Short History of the Inquisitions* (New York: The Truth Seeker Company, 1907), p. 316.

(٢) الشوجون shogun: لقب كان يطلق على الحاكم العسكري لليابان منذ ١١٩٢م وحتى نهاية ١٨٦٨م.

(3) *A Short History of the Inquisitions*, pp. 317-319.

جيشاً قوامه ثلاثون ألفاً من كاثوليكيي اليابان وأعلنوا الخروج على الإمبراطور. استولوا على قلعة خربة على ساحل «شيمابارا» وانتظروا الأسطول الإسباني لتعزيزهم. لكن قوات «الشوجون» يساندها أسطول هولندي بروتستانتي أحبطت مساعيَ اليسوعيين فدمرت القلعة بمن فيها[1]. يقول «إ. م. ماكدونالد» في كتابه «**الوجيزُ في تاريخ محاكم التفتيش**» معلقاً:

> بسحق هذه الثورة تبددت آمال اليسوعيين في توطيد أقدامهم في اليابان. إن دينهم لم يجلب لليابان - كما يقول «لافُكاديو هيرن» - سوى الشر: اضطرابات، واضطهاد، وثورات، وأزمات سياسية، وحروب... ولو تم ذلك التدمير [للمجتمع الياباني] وقامت على أنقاضه إمبراطورية رومية كاثوليكية جديدة لسُخِّرت قوى تلك الإمبراطورية لتوسيع الطغيان الكهنوتي ونشر محاكم التفتيش والحروب اليسوعية المستمرة ضد حرية الضمير والتقدم البشري... إن جهود اليسوعيين لتنصير اليابان يجب أن تعد جريمة في حق البشرية، معولَ هدم، وقارعةً لا يعدلها - فيما أحدثته من بؤس ودمار - سوى زلزال أو طوفان أو انفجار بركاني[2].

نتج عن هذه الثورة أن أصدر الشوجون «إيَّميتسو» Iyemitsu عام ١٦٣٩م مرسوم الإبعاد النهائي الذي قضى بطرد الروم الكاثوليك بل كل الأجانب من

---

(1) *Vatican Assassins*, p. 148.

(2) *A Short History of the Inquisitions*, pp. 321-322.

اليابان إلى الأبد. يقول نص المرسوم: "مستقبَلاً لا يجرؤنَّ أحد – ما أضاءت الشمسُ الكونَ – على الإبحار إلى اليابان، ولو كانوا بصفةِ سُفَراء. ولا يُسمح أبداً بإلغاء هذا الإعلان تحت طائلة عقوبة القتل". ولم يُستثن من هذا الإعلان سوى الهولنديين الذين أسهموا في إحباط مساعي اليسوعيين[1].

لكن هذا الحظر كُسر عام ١٨٥٣م على يد العميد البحري الأمريكي الكومودور «ماثيو بيري» Matthew Perry وسفنه السوداء التي أكرهت اليابان على الانفتاح على العالم الغربي. وفي عام ١٨٦٧م اغتيل الإمبراطور «كوميه» Komei الذي رفض دخول النصارى ثانية ونُصِّب مكانه الإمبراطور المستبد «ميجي» Meiji الذي كانت سياسته مواتية لأطماع اليسوعيين إلى أن هلك عام ١٩١٢م. وهكذا دخلت اليابان حلبة الصراع مع الصين وكوريا إلى أن تولى إمبراطورية اليابان العميل «هيروهيتو» Hirohito عام ١٩٢٦م وكانت في عهده الحرب العالمية الثانية ثم كان هلاكه عام ١٩٨٩م[2].

مذبحة إيرلندا:

في أثناء حرب الثلاثين عاماً عزم اليسوعيون على القضاء على بروتستانت إيرلندا، وحُدد يوم عيد القديس لويولا (٢٣ أكتوبر ١٦٤١م) لبدء المجزرة التي استمرت ثمانية أعوام وكان ذلك عن طريق تحريض الإيرلنديين الكاثوليك ضد البروتستانت. يقول اليسوعي «كونر أو ماهوني» مبتهجاً:

(1) Manhattan, Avro. *Catholic Imperialism and World Freedom* (London: Watts & Co. 1952), p. 361.

(2) *Wikipedia* "Hirohito" <http://en.wikipedia.org/wiki/Hirohito>

أعزائي الإيرلنديين [الكاثوليك]! استمروا وأتموا عمل الحرية والدفاع الذي من السعادة أن بدأتموه؛ واقتلوا كل الهراطقة [البروتستانت] وكل من أعانهم أو دافع عنهم. هاأنتم قَتلتم في غضون أربعة أو خمسة أعوام - أي بين عامي ١٦٤١م و ١٦٤٥م حيث أكتب هذه الأسطر - ١٥٠,٠٠٠ من الهراطقة كما يقر بذلك أعداؤكم؛ وهو ما لا يمكنني إنكاره. أما من جانبي - إذ أعتقد أنكم قتلتم أكثر من ذلك - فإني كنت آمل أن تقتلوهم قاطبة؛ فإما أن تفعلوا ذلك وإما أن تخرجوهم كلَّهم من إيرلندا لئلا يصيبنا ثانية وباء هذا الشعب المستهتر المتلون المتقلب البربري الجاهل المتمرد[1].

الثورة الإنجليزية البيوريتانية (التطهرية):

عام ١٦٢٥م مات الملك «جيمس الأول» وخلفه على عرش إنجلترا ابنه «تشارلز ستيوارت الأول» الذي كان - خلافاً لأبيه - أداة بيد اليسوعيين يديره كبير الأساقفة الأنجليكان «ويليام لود».

كان ملك فرنسا في هذه الفترة «لويس الثالث عشر» (١٦١٠-١٦٤٣م) يضطهد الفرنسيين البروتستانت. وكان مما أثار حفيظة البرلمان الإنجليزي البروتستانتي ضد ملكهم «تشارلز الأول» أن أعار أسطوله الملكي لملك فرنسا هذا فأغرق به أسطول الفرنسيين البروتستانت (الهيجونوت).

(1) Walsh, Walter. *England's Fight with the Papacy* (London: James Nisbet & Co., Limited, 1912), p. 339.

ثار البرلمان البروتستانتي على الملك «تشارلز الأول» فيما يعرف بالثورة البيوريتانية بقيادة «أوليفر كروميل» الذي عرف جيشه باسم «الحديديين» Ironsides. انتصر كروميل في معاركه ضد اليسوعيين في إنجلترا، بل تقدم إلى إيرلندا لنصرة البروتستانت فدمر أسوار مدينة «دروغيدا» الكاثوليكية وقتل فيها ألفين تقريباً. كما أنه أجبر فرنسا على إصدار عفو عام يقضي بضمان حقوق الهيجونوت. أما مصير عميل اليسوعيين الملك «تشارلز الأول» فكان الإعدامَ بأمر من البرلمان الإنجليزي بتهمة الخيانة العظمى.

كانت كل هذه الانتصارات تقلق روما معقل اليسوعية. يقول «هيدلي» في كتابه «**حياة أوليفر كروميل**»:

> لقد كان كروميل بطلَ البروتستانتية، وهذا ما أراد تأكيده. فدافع عنها في كل بقعة استطاع الوصول إليها . . . بل بذل قصاراه ليُفهم البابا بعلمه أنه [أي البابا] قد بلغ أحط دركات الاضطهاد غير المشروع، ولئن لم يحذر ليرينّ سفنه [أي سفن «كروميل»] في مرفأ «تشيفيتا فِكيا» Civita Vecchia، وليسمعن دويَّ المدافع من جنبات الفاتيكان[1].

لقد كانت محاولة اليسوعيين جعل الملك «تشارلز ستيوارت الأول» حاكماً مستبداً ذات نتيجة عكسية إذ كانت سبباً في قيام الثورة البيوريتانية التي أحيت في البروتستانت من جديد روح العداء لليسوعية والسلطة البابوية.

---

(1) Headley, J. T. *The Life of Oliver Cromwell* (New York: Charles Scribner, 1851), p. 396.

لكن اليسوعيين تربصوا بكروميل حتى مات مسموماً بيد أحد أطبائه - كما يرى بعض المؤرخين[1] - ونجحوا في إعادة أحد ملوك آل ستيوارت «تشارلز الثاني» إلى سدة الحكم عام ١٦٦٠-١٦٦١م.

نقض «مرسوم نانت» ومذبحة الهيجونوت الفرنسيين:

كنت قد ذكرت في موضع سابق أن الملك الفرنسي «هنري الرابع» أصدر عام ١٥٩٨م «مرسوم نانت» الذي كان من شأنه حفظ حقوق البروتستانت في فرنسا وهو ما عارض توصيات «مجمع ترنت» الذي أشرف عليه اليسوعيون فكان ذلك سبباً في اغتيال الملك هنري الرابع على يد «فرانسوا رافيَّاك». ومن ساعته حرص اليسوعيون على إلغاء ذلك المرسوم الذي أعاقهم عن ذبح الهراطقة كما يسمونهم حتى سنحت الفرصة في أثناء حكم الملك «لويس الرابع عشر».

تتجلى كيفية نقض المرسوم في الرسالة التي بعثها «بير لا شيز» اليسوعي - الذي كان كاهن اعتراف الملك الفرنسي «لويس الرابع عشر» - إلى الأب «بيترز» كاهن اعتراف الملك الإنجليزي «جيمس الثاني». يقول اليسوعي «بير لا شيز» في رسالته:

لقد كلفني الأمر كل وعد ووعيد قبل أن يبلغ ما بلغ؛ إذ كان مَلِكنا كارهاً لفترة طويلة. لكنني في النهاية تمكنت من زمامه بعد أن

(١) حول مقتل أوليفر كروميل مسموماً انظر:
McMains, H. F. *The Death of Oliver Cromwell* (University Press of Kentucky, 1999), p. 94.

ضاجع كَنَّته [زوجة ابنه] فلم أمنحه الغفران بأي شكل كان حتى وهبني سنداً بخطه وخاتمه لذبح كل الهراطقة [البروتستانت] في يوم واحد . . . لقد جعلته يتوسلني على ركبتيه قبل أن أوافق على أن أمنحه الغفران[1].

هكذا تم نقض «مرسوم نانت» عام ١٦٨٥م "وكان اليسوعيون على وجه الخصوص جذلين" بنقضه كما يخبرنا «صموئيل سمايلْز».[2] وبدأت سياسة الـ«دراجونيد» Dragonnade القمعية ضد البروتستانت في فرنسا حتى إن الملك «لويس الرابع عشر» كان يتبجح بأنه خلال عام واحد لم يُبق في فرنسا سوى ١٠٠٠-١٥٠٠ من الهيجونوت البروتستانت.[3] كما يذكر الأب الفرنسي الكاثوليكي الأصل «تشارلز تشينيكي» في كتابه «**خمسون عاماً في كنيسة روما**» بأن الملك الفرنسي "تسبب في قتل نصف مليون من الرجال والنساء والأطفال الذين هلكوا في طرقات فرنسا، كما تسبب في هلاك ضِعف ذلك العدد في أرض المهجر . . . "[4].

وهكذا لم يتبق من البروتستانت في فرنسا سوى الفقراء والمستضعفين، وهاجرت الطاقات والعقول البروتستانتية إلى بقية دول أوروبا وأمريكا الشمالية[5].

---

(1) *The Black Pope*, p. 402-403.

(2) Smiles, Samuel. *The Huguenots in France* (New York: Harper & Brothers Publishers, 1874), p. 6.

(3) *Wikipedia*, "Dragonnade" <http://en.wikipedia.org/wiki/Dragonades>.

(4) Chiniquy, Charles. *Fifty years in the Church of Rome*, p. 686.

(5) *The Huguenots in France*, pp. v-vii.

«الثورة المجيدة» عام ١٦٨٨م:

بعد وفاة القائد الإنجليزي «أوليفر كروميل» عادت أسرة «ستيوارت» الكاثوليكية لتحكم إنجلترا. وأصدر الملك «تشارلز الثاني» حكم الإعدام على كل أعضاء البرلمان البروتستانتي الذين وقّعوا وثيقة إعدام أبيه «تشارلز الأول»، وقَتل الكثيرَ من الشعب.

وبعد وفاته عام ١٦٨٥م خلفه أخوه الكاثوليكي «جيمس الثاني» الذي وصفه الفيلسوف والفيزيائي الفرنسي «جان دالامبير» Jean d'Alembert بأنه "أقرب إلى كونه يسوعياً من كونه ملكاً"[1]. لكن البروتستانت طردوه من مملكته ففر إلى فرنسا تحت كنف «لويس الرابع عشر». وطلب الإنجليز من الهولندي البروتستانتي «ويليام الثالث» أن يحل محله فكان ذلك عام ١٦٨٩م، وصدر قانون يُحرِّم على أي كاثوليكي الجلوس على عرش إنجلترا ثانية. كما كان انتصار «ويليام الثالث» على الملك الكاثوليكي الإنجليزي «جيمس الثاني» والملك الكاثوليكي الفرنسي «لويس الرابع عشر» في «معركة بوين» Battle of Boyne التي جرت قرب «دروغيدا» الإيرلندية عام ١٦٩٠م بمثابة إعلان لانتصار البروتستانتية على الكاثوليكية في إنجلترا.

لكن حدثاً عظيماً حول مسار التاريخ الأوروبي بل تاريخ العالم عندما قام اليسوعيون وعائلة «ستيوارت» الكاثوليكية بإحياء «تنظيم فرسان الهيكل» الصليبي من جديد ولكن باسم جديد أصبح فيما بعد رمزاً للسرية والنفوذ السياسي – أعني الماسونية.

(1) Nicolini, *History of the Jesuits*, p. 424.